السيد البدوى

بين الحقيقة والخرافة

تأليف

الدكتور أحمد صبحي منصور
قسم التاريخ جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

كاتب وكتاب

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، هدانا إلى دينه الحق منهجا قويما للحياة الراشده ، وصراطا مستقيما إلى الدار الآخرة ، وخطة سديدة لكل حسن من القول وصالح من العمل ، والصلاة والسلام على عبده المصطفى ، ونبيه المجتبى رحمة للعالمين ، وعلى صحبه ، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

وبعـــد :

فما يملأ النفس سعادة غامرة أن أقدم لجماهير المسلمين هذا العمل العلمى الجيد ، والبحث العلمى ثمرة لجهد الباحث ، ولأجل هذا كان من ألزم الأمور للتعريف بعمل معين أن نقدم شيئاً عن الباحث حتى نلقى أضواء كاشفه على أبعاد بحثه ، وبواعثه ، وقيمته ، والغاية المرجوة منه .

أمامنا إذن كاتب وكتاب .

أما الكاتب الباحث فهو الأخ الدكتور أحمد صبحى منصور ، مدرس التاريخ بكلية اللغة العربية ارتاد الطريق إلى الحق ، وهو عمل كبير ، يحتاج إلى صبر وأناة ، وجهد شاق ، ونصب ومعاناه وأوفى على نهاية الطريق بتصور صحيح ، ونظرة سديدة ، وإدراك قويم .

كان يعد رسالة لنيل درجة الدكتوراه عن ظاهرة التصوف فى عصر المماليك ، ومجال بحثه باعتباره مؤرخا يعنى ما يرتبط بهذه الظاهرة من متغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية ، لكنه فى الطريق إلى ما يريد تكشفت له حقائق - رهيبة اقترنت بهذه الظاهرة التى التصقت بمجتمع المسلمين منذ أمد بعيد .

من هذه الحقائق التى ما كانت لتخطر على بال أحد .

- تبنى أئمة التصوف لوحدة الوجود • قولهم بالاتحاد والحلول .
- قولهم بسقوط التكاليف .
- قولهم بوحدة الأديان ، إذ يعدون بهذا أصحاب أسبق فكر ما سونى ، ومن ذلك يقول قائلهم ، وهو من كبار أقطابهم :

عقد الخلائق فى الإله عقائدا وأنا اعتقدت جميع مااعتقدوه

ومن هنا رأى الباحث لزاما عليه أن يكشف الستر عن هذا كله ، وليكن التصوف قضيته ، وما ينبغى له أن يكتم شيئا علمه ، وضمن رسالته طرفا من ذلك ، وكلفه هذا من أمره عسرا ، ثم وصل ببحثه إلى بر السلامة ، حيث رأى أن ذلك لم يكن نهاية المطاف ، وإنما هو بداية لمرحلة جديدة وخطيرة من مراحل الجهاد ، يعلم الناس فيها ما يجهلون من أمر التصوف وأقطابه .

وبدأ المرحلة بهذا البحث القيم « السيد البدوى بين الحقيقة والخرافة » .

فى هذا الكتاب تحليل علمى مدعوم بالحجج والأسانيد عن أخطر وأشهر شخصية من شخصيات التصوف عبر التاريخ لما حظى به ضريحه من حجاج ورواد وقصاد لفت أنظار غير المسلمين قبل المسلمين حتى إن الصحفيين الأوربيين كانوا يترصدون لمولده ، ويسجلون ما يقع فيه من أحداث وحوادث ينتهون منها إلى إصدار الحكم على فكر أمة وعقل مجتمع ، ومصير دين ظلمه أهله .

كما اقترن إسمه بمئات من الأساطير ، وآلاف من الخرافات والأباطيل ، ترشحه للألوهية ، وتجعله كفيلا بأن ينسى الناس معبودهم الحق جل شأنه .

لقد تحدث باحثنا عن البدوى . الداعية السياسى السرى . وحلل الحركة الشيعية فى القرنين السادس والسابع . فتناول بذورها فى المغرب ، وشجرتها فى العراق ، متحدثا عن مدرسة أحمد الرفاعى ، وتحدث بعمق عن جهود البدوى فى المرحلتين : الاولى والثانية أثناء مقامه بطنطا وعلام انتهى أمره فيها ، ولأن قضايا التشيع المستتر بالتصوف غاية فى التخصص العلمى وتستلزم خلفية تاريخية فان على القارىء أن يقرأ هذا الفصل بتمعن ويعيد قراءته ، ثم عقد فصلا عن خرافة البدوى أو البدوى المتصوف .

فناقش ولاية البدوى متحدثا عن عناصر الولاية فى الإسلام ثم أكد تألية كثير من جماهير المتصوفة للبدوى ، وأنهم أحيانا يفضلونه على الله ووصف الانحلال الخلقى فى المولد الاحمدى ، وبين مسئولية البدوى فى ذلك .

هذا الكتاب بين الكتب السابقة :

لقد ألفت كتب شتى عن السيد البدوى قبل هذا الكتاب منها القديم ومنها الحدث فن القديم الطبقات الكبرى للشعرانى ، والاخلاق المتبولية كتبت عنه ما يثير وما يضحك اعتماداً على مجرد سرد لحكايات نسجها فكر غير محقق .

ومن المحدثين من كتب عن السيد البدوى ، وأعلن أنه استأذنه قبل أن يكتب عنه ولا أدرى لم الاستئذان؟ كيف يستأذن الموتى ؟ وقد كتب المؤلف نفسه عن العقيدة وعن ذات الله ، وعن النبى ﷺ فهل استأذن الله ورسوله قبل الكتابة أم أن السيد له شأن آخر ؟ !! الله أعلم . المهم أنها قضية بالغة العجب .

وممن سبقوا إلى الكتابة عن السيد البدوى الاستاذ محمود أبو رية رحمه الله ، وقال فى صدر كتابه : بحث صريح فى تاريخ السيد البدوى ، وما يقترف باسمه من وثنيات ، وما يجرى حول قبره من بدع وخرافات ، وبيان فساد ذلك كله وبطلانه .

وكتاب الاستاذ أبو رية عبارة عن أفكار وخواطر ، ومقالات شتى للمؤلف ولغيره حول السيد البدوى ، والمظاهر الوثنية المقترنة باسمه ويضريحه وبمولده

وكتب عن السيد البدوى الصحفى النابه الاستاذ محمد فهمى عبداللطيف، فكتب عن السيد البدوى ودولة الدراويش وجلى كثيراً من الحقائق التاريخية والسياسية وكان كتابه بمثابة تفجير لقنبلة أخرى لتمزيق الستار حول الكثير من الخرافات التى غرست فى وجدان المصريين منذ عشرة قرون تقريبا .

وهى من ناحية أخرى فى تقديرى صورة من صور المأساة الصوفية .
وهذا يتطلب منى أن أطرح عدة تساؤلات حول الفكر الصوفى .
والإجابة عنها بصدق وإخلاص تجلى الكثير من غوامض المشكلة .

تساؤلات حول الفكر الصوفى :

أهو منهج لتطبيق الإسلام على صورة أمثل وأقوم أم أنه كيان فلسفى متكامل؟
فلو زعمنا الافتراض الأول ينبغى لنا أن نتجاهل الحقيقة التاريخية للتصوف وهو أنه ظاهرة إنسانية تعبر عن الضياع والألم والهروب من الواقع الذى يعيشه الإنسان ، وعاشه فى كثير من فترات التاريخ . وهذا أمر لا يمكن تجاهله .

لأن التصوف عرف عند الهنود ، والفرس ، وعرفته البوذية والبراهمية ، واليهودية والنصرانية وأما الإسلام بمنهجه الإلهى المكتمل فهو فى غنى تام عن منهج بشرى يختلقه الإنسان ليكون مسلما فى ظله .

وما بقى إلا الافتراض الثانى . . وهو فعلا كذلك ، لأنه رسم للمعرفة طريقا يقال له التذوق، والمفهوم أن طرق المعرفة ثلاثة: الشرع والعقل والحس ، والقول بأن هناك حقيقة وشريعة ، وأن الإسلام له ظاهر وباطن ، والعالم تسيره مملكة هرمية فى قمتها قطب الأقطاب ويليه الأقطاب ثم النجباء ثم الأبدال يعنى صياغة جديدة لنظرية المثل الأفلاطونية .

قال أحد المعتدلين من أهل التصوف : إذا رأيتم الرجل يطير فى الهواء ويمشى على الماء ولا يعمل بالكتاب والسنة فهو شيطان !!! وهذا أمر جميل فيه دعوة إلى الالتزام بالإسلام ، لكن أيمكن لمن يعمل بالكتاب والسنه أن يمشى على الماء ويطير فى الهواء . . وهل فعل ذلك رسول الله ﷺ أو أحد من صحابته أم أنهم كانوا دون المستوى ؟ !!

إسم التصوف متى وكيف ظهر؟ الطرق الصوفية التى ناهزت السبعين أو تجاوزتها متى وكيف ظهرت ؟ وهل من حق كل شيخ أن يؤلف لطريقته شعائر ومناسك يحرصون عليه فى الغداة وفى العشى أم أن العبادة التزام بما تعلمناه من رسول الله ﷺ ، وهل ورد لفظ التصوف أو مشتقاته فى كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ؟

قالوا إن الصوفية لهم فضل انتشار الإسلام فى إفريقيا وآسيا !!! نعم ولكن هل الإسلام الموجود الآن فى كثير من بلاد آسيا وإفريقيا هو الصورة الصحيحه للإسلام أو إنهم نشروا الإسلام ونشروا معه الخرافه معا .

وحقيقة أخرى هى أن هؤلاء الذين نشروا الإسلام لم ينشروه بالفكر الصوفى وإنما نشروه بالخلق الإسلامى والقدوة الحسنة . والقدوة هى محور نجاح كل دعوة حتى ولو كانت فاسدة متى كان الداعى إليها على خلق كريم .

هذه الخرافات والأساطير التى ملأت ساحة المجتمع من المسئول عنها ؟ ومن الذى تولى كبرها ؟ ألم يكن أقطاب التصوف هم المسئولين عن هذا ؟ ألم يكن التصوف هو المناخ الملائم لنمو هذه البكتريا الفكرية ؟

وسيقول بعض الناس هناك التصوف المعتدل لابد أن نحرص عليه، وإذا سألتهم عن ملامح التصوف المعتدل ان يكون سوى الإسلام الدين الحق ، وهو يختلف تماما عن التصوف التاريخى والتصوف الواقعى .. فلم الحرص إذن على هذا الإسم المشبوه ؟ !!

وهذه نماذج من الخرافات يندى لها الجبين

من ذلك ما يقول دراويش الصوفية عن السيد البدوى حين يختلفون أحاديث قدسية منها : (الملك ملكى وصرفت فيه أحمد) .

ماذا أقول ورب العالمين قال لخير خلقه : (ليس لك من الأمر شيء) ؟ ! معنى هذا أن السيد البدوى أكبر وأعظم .

ويروون هذا الحديث القدسي: « إنى اخترت من الأنبياء أحد ومن الأولياء أحد فاما أحد الذى اخترته من الأنبياء فهو محمد نبيي ورسولى ، وأما أحد الذى اخترته من الأولياء فهو أحمد البدوى ، سألنى ثلاث مسائل فأعطيته اثنين ، ولم أعطه الثالثة - سألنى أن يكون التصريف فى ملكى على يديه فأعطيته ، وسألنى فيمن زار قبره أن أغفر له فى اليوم الموعود فأعطيته ، وسألنى أن يدخل النار فلم أعطه !!! لأنه لو دخلها لتمرغ فيها فتصير حشيشا أخضر ، وحقا على أن أعذب بها الكفار » !

ما رأيكم فى هذا الإفك المفترى ؟ إن الرد عليه يطول ، وكذبه أوضح من أن يرد عليه .

ومثل آخر :

ذكر الشيخ أبو البركات أحمد الدردير فى كتابه : شرح الخريدة البهية وكان يدرس فى الأزهر فى وقت من الأوقات : « إن من لاشيخ له فشيخه الشيطان » ثم قال : إن تمام النعمة فى أتباع الأقطاب الربانيين: أحمد الرفاعى ، وعبدالقادر الجيلانى ، وأحمد البدوى ، وابراهيم الدسوقى ، وأبو الحسن الشاذلى ، وعبد الله النقشبندى ، وأتباعهم فهؤلاء سادات الامة المحمدية .

والاعجب من هذا أن الشيخ أحمد الصاوى فى حاشيته على شرح الخريدة تطوع بالترجمة لهؤلاء الاعلام وكان فيما قاله عن الرفاعى من مناقب : أنه أراد شراء بستان فأبى صاحبه أن يبيعه إلا بقصر فى الجنة فقال له : قد اشتريت منك بذلك وكتب له عقدا هذه صورته ،

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما إبتاع إسماعيل من العبد أحمد الرفاعى ، ضامنا على كرم الله قصرا فى الجنة يحف به حدود . الاول لجنة عدن ، والثانى : لجنة المأوى ، والثالث . لجنة الخلد ، والرابع: لجنة الفردوس بجميع صوره وولدانه وفرشه ، وأشربته ، وأنهاره ، وأشجاره عوضا عن بستانه فى الدنيا ، والله شاهد على ذلك وكفيل ، فلما مات إسماعيل أى (المشترى) دفن معه العقد فأصبحوا وإذا مكتوب فى قبره « وقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا » .

ماذا تقول فى هذا الدجل؟ أهى صورة من صكوك الغفران التي عرفتها أوروبا

فى العصور الوسطى عندما سيطر الدجل الصوفى على المسيحية ؟

ومن علم هذا القطب تجاوزهذه الحدود وإحاطتها بالقصر الذى باعه لصاحبه أم هى قصة بيع الترام سبق إليها القطب الكبير ؟

إن القصة جاءت فى كتاب شرحه قطب كبير هو الدردير ، وكتب الحاشية عليه قطب آخر هو الشيخ الصاوى ، والكتب كان من المقررات فى المعاهد الازهرية ردحا من الزمن . حسبنا الله ونعم الوكيل .

ولاشك أن القارىء سيعذر مؤلف الكتاب فيما أورده من غرائب الاقطاب بعد أن سمع ما سمع عما يورثه الخبل الصوفى من اضطراب وضياع فى ساحة التفكير الإسلامى ... وبقيت كارثة .

هل تصدق أن الاستعمار وجد فى رحاب التصوف عونا وسندا ؟ !

وبدون تعليق ... نشرت جريدة آخر لحظة الصادرة فى ١٢مارس سنة ١٩٥٢ صورة (أوريول) الرئيس الفرنسى إذ ذاك ، وهو يمنح وسام «اللجيون دونور» فى ٦ من مارس ١٩٥٢ للشريف سيدى الكفانى فى قصر الاليزية وهذا الشريف هو شيخ الكفانيين فى مراكش » .

ونشرت مجلة الازهر فى عددها الصادر فى شهر المحرم سنة ١٣٧٧ هـ مقالا محققا للشيخ العلامة محب الدين الخطيب تحدث فيه عن الطريقة التيجانية وموالاتها للفرنسيين فى الجزائر .

وحسبي ما قدمت من أمثلة لأدع القراء الفرصة كاملة لاستيعاب مافى الكتاب وما قدمت به هو إعداد نفسى ، وتهيئة ذهنية لفهم صحيح لقضية تضاربت فيها الآراء ، واختلفت الاتجاهات والحق واضح لكن يطغى عليه أحيانا الزبد (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض) .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

الدقى / القاهرة { ١٤٠٢/١١/١٣هـ — ١ /٩/ ١٩٨٢ م

د . السيد رزق الطويل
الاستاذ المشارك بجامعة أم القرى
مكة المكرمة
والرئيس العام لجماعة دعوة الحق الإسلامية